





جامعة أحمد بن يحيى الونشريسي
تيسميسيلت-

المعيار

مجلة نصف سنوية متعددة التخصصات
مصنفة " C "

في الآداب، الحقوق والعلوم السياسية، علوم وتقنيات
النشاطات البدنية والرياضية، العلوم الاقتصادية، والعلوم الإنسانية
والاجتماعية

المجلد الخامس عشر العدد 02 ديسمبر 2024

EISSN 2602-6376

ISSN 2170-0931

المعيار

مجلة نصف سنوية متعددة التخصصات
مصنفة " C "



جامعة أحمد بن يحيى الونشريسي، تيسمسيلت - الجزائر -

شروط النشر وضوابطه

-المعيار مجلة علمية مصنفة تنشر البحوث الأكاديمية والدراسات الفكرية والعلمية والأدبية التي لم يسبق نشرها من قبل.

- دورية تصدر مرتين في السنة عن جامعة بتيسمسيلت. الجزائر.

- تُقبل البحوث باللغات العربية والفرنسية والانجليزية.

- ضرورة وجود مختصر أو تمهيد للمقال سواء باللغة العربية أو الأجنبية.

- تخضع البحوث والدراسات المقدمة للمجلة للشروط الأكاديمية المتعارف عليها.

- تخضع البحوث للتحكيم من طرف اللجنة العلمية للمجلة.

- تتم الكتابة بخط (Traditional Arabic) حجم (15)، وفي الهامش بالخط نفسه حجم (14).

- تتم كتابة البحوث كاملة أو الفقرات والمصطلحات والكلمات باللغة الأجنبية داخل البحوث المكتوبة باللغة

الفرنسية بخط (Times new roman) حجم (12)، وفي الهامش بالخط نفسه حجم (10).

- تكون الهوامش والإحالات على طريقة أسلوب APA

- لا يقل حجم البحث عن 08 صفحات ولا تتجاوز 15 صفحة.

- المواد المنشورة تعبر عن آراء أصحابها، والمجلة غير مسئولة عن آراء وأحكام الكتاب. كما أن ترتيب البحوث يخضع لاعتبارات تقنية وفنية.

المدير المسنول عن النشر

أ. د. عيساني امحمد.

المعيار

المجلد الخامس عشر العدد 2 ديسمبر 2024

مجلة نصف سنوية متعددة التخصصات

مصنفة " C "

تصدر عن جامعة تيسمسيلت - الجزائر

توجه جميع المراسلات باسم رئيس التحرير

عن طريق البوابة الإلكترونية www.asjp.cerist.dz

جامعة تيسمسيلت. الجزائر.

البريد الإلكتروني: www.cuniv.tissemsilt.dz

EISSN 2602-6376

ISSN 2170-0931

رئيس المجلة:

أ. د. دهوم عبد المجيد

المدير المسؤول عن النشر:

أ. د. عيساني محمد

رئيس التحرير:

أ. د. مرسي رشيد.

نواب رئيس التحرير:

أ. د. واضح أحمد الأمين، أ. د. علاق عبد القادر، أ. د. العيداني الياس، أ. د. عطار خالد،

أ. د. لكحل فيصل، أ. د. قاسم قادة، د. دهقاني أيوب، أ. د. بوسكرة عمر.

سكرتيرة المجلة:

عرجان نورة

هيئة التحرير:

أ.د. غربي بكاي، أ.د. قاسم قادة، أ. د. عطار خالد، د. صالح ربوح، أ.د. مصاييح محمد، د. بن رابح خير الدين، أ. د. بوسيف إسماعيل، أ.د. بوراس محمد، أ. د. شريط عابد، د. محي الدين محمود عمر، أ.د. روشو خالد، أ.د. العيداني إلياس، أ.د. فايد محمد

الهيئة العلمية:

من جامعة تيسمسيلت: أ.د. بن فريجة الجلالي، أ.د. أحمد واضح أمين، أ.د. تواتي خالد، د. ربوح صالح، أ.د. غربي بكاي، أ.د. بوركة ختة، أ.د. طعام شامخة، أ.د. شريف سعاد، أ.د. يعقوبي قدوية، أ.د. مرسللي مسعودة، أ.د. بن علي خلف الله، أ.د. رزايقية محمود، أ. د. بوغاري فاطمة، أ.د. قردان ميلود، أ.د. يونس محمد، أ.د. فتوح محمود، أ.د. عيسى حورية، د. بوضوار صورية، د. وسواس نجاة، أ. د. بوزيان أحمد، أ.د. بشير دردار، من جامعة صفاقس، تونس: أ. د. عبد الحميد عبد الواحد، د. بوبكر بن عبد الكريم، من جامعة المنصورة، مصر: د. محمد كمال سرحان، من جامعة طرابلس، ليبيا: د. أحمد رشراش، من الجامعة الأردنية، الأردن: أ. د صادق الحايك، من جامعة الجزائر 03، الجزائر: د. فتحي بلغول، من جامعة لمين دباغين، سطيف: أ. د بوطالي بن جدو، من جامعة وهران: أ. د. مخطار حبار، من جامعة سيدي بلعباس: أ. د. محمد بلوحي، من جامعة سعيدة: د. عبد القادر راجحي، من جامعة تلمسان: أ. د. محمد عباس، أ. د. عبد الجليل مرتاض، من جامعة تيزي وزو: أ. د. مصطفى درواش، من جامعة مستغانم: د. منصور بن لكحل، من جامعة زيان عاشور، الجلفة: د. حربي سليم، د. علة مختار، عروي مختار، من جامعة حسيبة بن بوعلي، شلف: أ. د حفصاوي بن يوسف، أ. د موسى فريد، أ. د. بوراس محمد، أ. د. علاق عبد القادر، أ. د. روشو خالد، أ.د. مرسي مشري، د. لعروسي أحمد، د. قزران مصطفى، د. زرقين عبد القادر، د. محمودي قادة، أ.د. العيداني إلياس، د. عيسى سماعيل، د. بوزكري الجيلالي، د. ضويفي حمزة، د. كروش نور الدين ، د. بوكريدي عبد القادر، د. عادل رضوان. من جامعة ابن خلدون تيارت: أ. د. عليان بوزيان، أ. د. فتاك علي، أ. د. بو سماحة الشيخ، أ. د. بن داود إبراهيم، أ. د.

شريط عابد. UNIVERSITIE PAUL SABATIER TOULOUZE 03. FRANCE: CRISTINE

Mensson

كلمة العدد

السلام عليكم،

تطل عليكم مجلة المعيار ككل مرة في مجلد جديد وعدد جديد، يحمل في طياته مجموعة قيمة من المقالات العلمية، وكالعادة يتميز هذا العدد بمقالات من داخل وخارج الوطن التي تحوي الكثير من المواضيع المختلفة في شتى الميادين، سواء كانت أدبية، قانونية وسياسية، اقتصادية واجتماعية.

كل هذا ستجدونه في المجلد الخامس عشر، العدد الثاني.

إن هذه المجلة مجلتكم وإدارتها حريصة جداً على إرضائكم بما تقدمه من أبحاث ودراسات، نتمنى أن يلقي هذا العدد الذي بين يديكم استحسانكم. كما نسأل الله تعالى أن يكون عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم وأن ييسر لنا الاستمرار في عملنا هذا

المدير المسؤول عن النشر

أ.د. عيساني محمد

محتويات العدد

الرقم	الموضوع	الصفحة
	كلمة العدد أ. د. عيساني امحمد	هـ
01	أثر النصوص الدينية (قرأنا وسنة) في بناء ملكة المتعلمين _ التعليم المتوسط أنموذجا _ بلحنيش عبد الرحمن -المركز الجامعي عبد الله مرسل-تيبازة-الجزائر	16-1
02	أحداث 17 أكتوبر 1961م في المسرح الجزائري المهاجر "أمسية في باريس لمجيد بن شيخ أنموذجا" دندان نور الهدى/ بن صفية اسماعيل -جامعة باجي مختار-عناية-الجزائر	31-17
03	الأزدواجية اللغوية وأثرها في تداول العربية الفصحى -دراسة سوسيولسانية في اكتساب الفصحى لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية- أ. د رزايقية محمود -جامعة أحمد بن يحيى الونشريسي -تيسمسيلت-الجزائر	43-32
04	التداولية بين المفهوم والإجراء في النقد الجزائري المعاصر نويجم علي/ هدروق لخضر -جامعة أحمد بن يحيى الونشريسي -تيسمسيلت-الجزائر	54-44
05	الخطاب النسوي في الترسل بين الماضي والحاضر في الأدب العربي علة ثليجة / مختاري فاطمة -جامعة الأغواط-الجزائر	70-55
06	الرواية التاريخية والذاكرة الجماعية قراءة في رواية سوناتا لأشباح القدس لواسيني الأعرج ط. د. فليفل كريمة/ د. عقال فاطمة الزهراء -جامعة يحي فارس المدينة-الجزائر	86-71
07	العجائبية في كتاب "رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة" شدني سميرة / يوسف يوسف -جامعة تيارت، الجزائر	99-87
08	المناهج النقدية الغربية ورحلة تقويض القصيدة العربية د. رندي محمد -جامعة أحمد بن يحيى الونشريسي-تيسمسيلت-، الجزائر	111-100
09	تجليات الاستعارة العرفانية في شعر عقاب بلخير بوشالقي كمال / سعد الله زهرة -جامعة أحمد بن بلة وهران 1، الجزائر	121-112
10	تَشْيُؤُ الإنسان: حين تتحول الرقمنة إلى دستوبيا رواية رف اليوم لنجلاء العتيبي أنموذجا مسالي ليندة / جامعة عبد الرحمن ميرة بجاية، الجزائر	137-122
11	تقنية القراءة السريعة ودورها في زيادة الإنتاج اللغوي لدى تلاميذ مرحلة التعليم المتوسط ط. د. نيشد بوعلام/ جامعة أحمد بن يحيى الونشريسي، تيسمسيلت، الجزائر	149-138
12	جمالية الاستهلال النصي في رواية "الحماقة كما لم يروها أحد" لسمير قسيمي شريف سعاد/ جامعة أحمد بن يحيى الونشريسي تيسمسيلت، الجزائر	159-150
13	جمالية الانزياح الدلالي في قصيدة "تأملات صوفية في عمق عينيك" ليوسف وغليسي نيشد أممي / بوعزة عبد القادر-جامعة أحمد بن بلة 1 وهران، الجزائر	174-160
14	حركة المعنى في سورة القارعة -مقاربة بلاغية- ميلاط إسلام / المركز الجامعي مغنية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر	191-175
15	حضور العجائبية في الرواية الجزائرية .رواية عز الدين جلاوي غنائية الحبّ والدّم . نموذجاً- د. عمر شادلي / ط. د خديجة بن زاهية -المركز الجامعي أفلو، باتنة، الجزائر	203-192
16	دور القرآن الكريم في التطور الدلالي للمفردات " شعر صدر الإسلام أنموذجا " خديجة بن قويدر / أمين عليوة -المركز الجامعي مرسل عبد الله تيبازة، الجزائر	218-204
17	دور دراسات الإعجاز في تشكيل الخطاب البلاغي العربي الجمعي شبكية / جامعة باجي مختار، عناية، الجزائر	234-219
18	سؤال الحرية والعبودية في رواية هاء وأسفار عشتار "لعزالدين جلاوي" "مقاربة نقدية تأويلية" أمال ماي/ جامعة الدكتور مولاي الطاهر، سعيدة، الجزائر	243-235
19	علاقة النحو العربي بالتفسير أ. د. العربي بومسحة / جامعة أحمد بن يحيى الونشريسي-تيسمسيلت، الجزائر	257-244

269-258	قراءة أبي بَحْرَة عبد الله بن قَيْس: دراسة لغوية أبو بكر الصديق مَداح / جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، الجزائر	20
285-270	مَظَاهِرُ الحِجَاجِ اللُّغَوِي فِي صَحِيفَةِ بَشْر بن المَعْتَمِر توفيق شعبان / المركز الجامعي مغنية، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر	21
294-286	مقولات النقد الإيديولوجي للقصيدة الجزائرية السبعينية (مقاربة نقدية تطبيقية) رماس جميلة، جامعة مولاي الطاهر، سعيدة، الجزائر/ بولعشار مرسل، جامعة أحمد بن يحيى الونشريسي، تيسمسيلت، الجزائر	22
307-295	نماذج من استدراقات الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور الفقهية والمقاصدية جلال لمرد / محمد الشتيوي -جامعة الزيتونة، تونس.	23
319-308	The Nature and Role of Linguistic Terms within Arab Culture Dr.Kerkour Ahlem / University of Mohamed Lamine Debaghin Setif 2 (Algeria),	24
332-320	Une Relecture Hermeneutique De La Nouvelle Les Freres De Mowgli De Rudyard Kipli Said HANOU Said /Université Ahmed Ibn Yahia Elwancharissi de Tissemsilt, Algérie	25
342-333	أثر الحرب الروسية الأوكرانية على الأمن الغذائي العالمي د. بوشامة عبد الغاني/ جامعة الجزائر1 كلية الحقوق -الجزائر-	26
352-343	أثر مبدأ المشروعية في تحقيق الأمن القانوني عمار دروازي/ أ. د علي محمد عبد الكريم -جامعة زيان عاشور، بالجلفة، الجزائر	27
368-353	التناسب بين الميزة العسكرية والأضرار الجانبية في القانون الدولي الإنساني " العدوان على قطاع غزة أنموذجا " أ. د. روشو خالد/ جامعة أحمد بن يحيى الونشريسي-تيسمسيلت-، الجزائر	28
384-369	الذكاء الاصطناعي في الجزائر، بين المخاطر والمساهمة في تحقيق الأمن السيبراني ميمي جمال/ جامعة بن يوسف بن خدة الجزائر1، الجزائر	29
399-385	الطبيعة القانونية للإدارة الإلكترونية في الجزائر ط. د / لخضر ميساوي / أ.د. عطاء الله بوحميده -جامعة الجزائر1، الجزائر	30
411-400	الهجمات السيبرانية بين التحديات القانونية والأخلاقية والاستجابات الدولية براهيمي اسماعيل / جامعة البليدة 02-الجزائر	31
423-412	تجارة الرقائق الالكترونية عبر مضيق تايوان: بين المصالح الاقتصادية والتنافس السياسي جصاص لبني / جامعة باجي مختار عنابة، الجزائر	32
433-424	Les Elections Communales Du 23 Novembre 2017 En Algerie : Enquete Sur La Representation Des Partis Politiques Dans La Wilaya De Tlemcen Kadi khayreddine / université de Tlemcen, Algérie	33
444-434	The Balance Between Executive and Legislative Powers in Light of the 2020 Constitutional Amendment: A Formal Equilibrium or an Embodiment of Democracy? Rital Salah / Relizane University, Algeria	34
453-445	المقاولاتية الخضراء في الجزائر: تحليل للتجربة وتقييم للتأثير على المجتمع والبيئة- سعدى عائشة / جامعة أحمد بن يحيى الونشريسي، تيسمسيلت، الجزائر	35
463-454	تمكين الانتقال الطاقوي في الجزائر في ظل تحيين المدونة القانونية محنون محمد / محمد كريم نورالدين-جامعة مستغانم، الجزائر	36
478-464	دراسة وصفية تحليلية لمؤشرات الحوكمة في الجزائر للفترة (1996-2022) نصاح سليمان/ يحيى فاطمة- جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، عين الدفلى، الجزائر	37
495-479	دور تحليل سلسلة القيمة في تعزيز القدرة التنافسية لمنظمات الاعمال أ.د. العيداني إلياس/ أحمد بن يحيى الونشريسي، تيسمسيلت، الجزائر	38
510-496	صكوك الاستصناع الاسلامية واستشراف تطبيقها من طرف المؤسسة الوطنية للترقية العقارية " التجربة المصرية نموذجا " ط د: عناني سفيان / د. بن حدو فؤاد -جامعة أحمد زبانة غليزان، الجزائر	39
526-511	قياس أثر عدم تماثل تغيرات سعر الصرف على القدرة الشرائية للعمال في الجزائر دراسة قياسية باستخدام منهجية NARDL خلال الفترة (1990-2023) تومي بلال، جامعة لونيبي علي البليدة 2، الجزائر/ تومي محمد، جامعة سعد دحلب البليدة 1، الجزائر	40
538-527	An Examination of Quality from the Providers' Perspective: A Study of Algerian Hotels Terkmani Meriem1/ Ghidouche Ait-Yahia Kamila - Ecole des Hautes Etudes Commerciales, Algeria	41

553-539	The role of generative artificial intelligence in enhancing risk management in the banking sector a case study of Barclays bank Hassini djazia, university of chlef, Algeria / Logab djilali, university of Tissemsilt, Algeria	42
569-554	أحوال وأوضاع المسلمين في تشريعات الكنيسة في الغرب اللاتيني (1000-1500م) د. برق الاغويبي، جامعة الجلفة، الجزائر	43
582-570	اختطاف الأطفال بين الواقع والتهويل في المجتمع الجزائري من وجهة نظرا الأولياء د/ لطفي بوجوية، جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة، الجزائر/ محمد بن حمّار، جامعة البلدة 02، الجزائر	44
596-583	إدارة الوقت وعلاقته بجودة التعليم لدى تلاميذ الطور المتوسط-ولاية تيسمسيلت نموذجا ساسى هادف جبير، جامعة أحمد بن يحيى الونشريسي-تيسمسيلت-الجزائر/ براهيمى سعيدة، المركز الجامعي مرسللي عبد الله -تتيازة-، الجزائر	45
606-597	أزمة الثقافة الشعبية ومهمة الفلسفة مداح رزقي، جامعة مولود معمري تيزي وزو، الجزائر	46
617-607	استخدامات الذكاء الاصطناعي في التعليم والضوابط الأخلاقية المنظمة لها قدور كرومي، المدرسة العليا للأساتذة الشيخ المبارك الملي بوزريعة، الجزائر	47
633-618	الأثار السلبية للتغيرات المناخية في العراق-الهجرة الداخلية نموذجا ميران حسين. جامعة السليمانية – إقليم كوردستان، العراق	48
648-634	التنوير من منظور تيزفيتان تودوروف بوقفة أحلام/ أ. د عبد المالك عيادي-جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله، بوزريعة-الجزائر	49
665-649	التوافق الأسري وعلاقته بقلق المستقبل لدى طلبة جامعة الشرقية بسلطنة عمان د. أمجد عزات جمعة، أستاذ علم النفس التربوي المشارك، قسم علم النفس، جامعة الشرقية، سلطنة عمان/ د. أمينة بن قويدر صمد، أستاذ علم النفس الإكلينيكي المشارك، جامعة الشرقية، سلطنة عمان/ هديل بنت بدر الشحي، هاجر بنت عبد الله الحبسي، هاجر بنت عيسى الحسني، طالبات بكالوريوس إرشاد نفسي جامعة الشرقية، سلطنة عمان	50
681-666	الحج كقطس عبور بقصر بوانجي -دراسة أنثروبولوجية لطقوس استقبال الحاج- خليفي غانية 1/ أ. د بلحسن مباركة -جامعة وهران 02 محمد بن أحمد، وهران، الجزائر	51
689-682	الصين من خلال كتب الرحلات الإسلامية: كتاب عجائب الدنيا وقياس البلدان أنموذجا كرطالي أمين، جامعة يحيى فارس، المدينة	52
704-690	الكفاءة الرقمية للأستاذ الجامعي بين ضرورة التّحول الرقمي وضمان جودة التّعليم مديحة دباي، المدرسة العليا للأساتذة -مسعود زغار-سطيف، الجزائر	53
717-705	المخاطر المهنية في بيئة العمل وطرق تقديرها: بعض الطرق الأرغونومية التقييمية أنموذجا بلمجاهد خيرة، جامعة ابن خلدون تيارت، الجزائر	54
731-718	آلية الرقمنة كاستراتيجية لتحقيق جودة الخدمات الصحية -دراسة نظرية تحليلية ط. د/ غربية محمد/ د. العيفاوي فريدة -المركز الجامعي مرسللي عبد الله -تتيازة-الجزائر	55
745-732	تجربة جامعة قسنطينة بالجزائر لتكوين الأساتذة حديثي التوظيف عن بعد أرضية مودل Moodle أنموذجا -الواقع والأفاق- د. ليلي قلاتي، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر	56
759-746	تطبيق التعلم المصغر القائم على الوحدات التعليمية المصغرة الإلكترونية في ضوء الاتجاهات زازل فيروز / جعلاب نور الدين التربوية الحديثة، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، الجزائر	57
773-760	تطور الوسائل التعليمية في المنظومة التربوية، اللوحة الإلكترونية أنموذجا، دراسة ميدانية خديجة مكاوي، جامعة طاهري محمد بشار، الجزائر	58
787-774	تعليم الفلسفة للأطفال: بناء عقول مفكرة ومستقل. د. عمار طرابلسي، جامعة محمد لين دباغين سطيف 2، الجزائر/ د. ديلمي راوية، جامعة المسيلة، الجزائر/ ط. د. سباع مروة، جامعة حسبية بن بوعلي الشلف، الجزائر	59
802-788	توطين تقنية الواقع المعزّز في التعليم عن بعد في الجامعة الجزائرية-دراسة ميدانية بجامعة سكيكدة د. لبنى يسعد، جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة، الجزائر	60
814-803	درجة استخدام تكنولوجيا المعلومات في تسير المؤسسات التعليمية في ضوء متطلبات جودة التعليم ط. د. نحوي عصام/ أ. د. سلام هدي-جامعة محمد لين دباغين – سطيف 2، الجزائر	61
827-815	دور جريدة المجاهد في مقاطعة استفتاء 8 جانفي 1961م د. حيفر مريم، جامعة باتنة 1، الجزائر	62

842-828	الغمر وأثره في صيغة سكنات الوكالة الوطنية لتحسين السكن وتطويره "عدل" هنان عبد القادر/ بن عمارزهره -جامعة أحمد بن بلة 1، الجزائر	63
857-843	سيكوباتولوجيا الشباب وأزمة التكفل النفسي في الجزائر حامق محمد، جامعة ابن خلدون -تبارت، الجزائر	64
870-858	قاعدة ابن حجر في دفع علّة الاضطراب. على أحاديث صحيح البخاري مرايط فؤاد / أ. د بوشامة-جامعة الجزائر1 بن يوسف بن خدة، الجزائر	65
886-871	مساهمة الثقافة التنظيمية بأبعادها (البعد التنظيمي، البعد الإنساني) في تحقيق تماسك فريق العمل بالمؤسسة الجزائرية-دراسة ميدانية بمؤسسة نفطال – تبارت-	66
900-887	بلعربي عادل عبد الرحمان، جامعة ابن خلدون تبارت، الجزائر مستوى التمرلدى طلبة جامعة العربي بن مهيدي -أم البواقي-	67
916-901	د. عناب أميمة، جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي، الجزائر واقع استخدام اللغة الانجليزية في البحث العلمي بالجزائر-دراسة ميدانية بكلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية جامعة وهران 01 سبيتي سهام1 / بن عجائمة بوعبد الله -جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم، أحمد بن يحيى الونشريسي	68
930-917	وظائف الإعلام التربوي ودورها في الارتقاء بالوعي الديني المجتمعي د. سامي حبيبي، جامعة أحمد بن يحيى الونشريسي، الجزائر/ أ. د. عمر مونة. جامعة غرداية، الجزائر	69
946-931	مستقبل التعليم في ظل التطور المتسارع لتقنيات الذكاء الاصطناعي: نحو مزوجة خلاقة مع مزايا الذكاء البشري للاستفادة من التقنيات وتلافي مضاعفاتها رزين محمد، جامعة جيلالي ليايس-سيدي بلعباس، الجزائر	70
960-947	Hate speech through cyberspace: a new strategy for escalating behaviour aggressive and seditious "Long title" SLIMANI Cherifa, Ibn Khaldoun University, Algeria	71
972-961	Human Rights in Rhetoric and Practice Bouchareb Fatima / Bassou Abderrahman -Abou Bakr Belkaid Tlemcen University, Algeria	72
984-973	The influence of digital technology on improving university professors' performance Zitouni Sabira , Morsli Abdullah University Center, Tipaza	73
1000-985	The Politics of Location in Transnational African Diasporic Narratives: Shifting Homes in Tayeb Salih's Season of Migration to the North (1966) Bechani Fatima /Prof. kaced Assi - University of Algiers 2, Algeria -	74
1008-1001	Une approche théorique des transformations sociétales selon Auguste Comte ketfi Yasmina, Université de Mohamed Boudiaf à M'sila, Algérie	75

التنوير من منظور تيزفيتان تودوروف The enlightenment from "tzvitan todorov" perspective



بوقفة أحلام، جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله، بوزريعة -الجزائر-
الأستاذ المشرف أ. د عبد المالك عيادي، جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله، بوزريعة -الجزائر-

Ahlem.bougoffa@univ-alger2.dz

Ayadiabdelmalek77@gmail.com

تاريخ القبول: 2024/10/27

تاريخ الإرسال: 2024/09/11

ملخص:

تتناول هذه الدراسة فكر التنوير من منظور المفكر والفيلسوف الفرنسي بلغاري الأصل تيزفيتان تودوروف (1939-2017)، الذي حاول تسليط الضوء على فلسفة عصر التنوير -من خلال كتابه (روح الأنوار) -وما يحمله من تحليل أحدث تحولا عميقا في بنية الفكر، وفتح أفقا فلسفيا كان له أثر كبير وانفتاح على التاريخ المعاصر. وعليه تهدف هذه الدراسة إلى تبيان الركائز والخصائص التي اعتمد عليها تودوروف في مساره النقدي لمشروع الأنوار، استنادا إلى مقارنة منهجية تحليلية نقدية، لأهم الأفكار والمبادئ التي قام عليها هذا المشروع محاولا تصحيح أفكاره وتوجهاته مبرزاً أهم الانتقادات والتهم الموجهة إليه، وكيف تم تقييمها؟

الكلمات المفتاحية: التنوير، النقد، الإنسان، العقل، الحرية.

Abstract:

This study examines the Enlightenment thought from the perspective of the French philosopher and thinker of Bulgarian origin, Tzvetan Todorov (1939-2017), who sought to shed light on the philosophy of the Enlightenment through his book (The Spirit of the Enlightenment). His analysis brought about a profound transformation in the structure of thought and opened up a philosophical horizon that had a significant impact and openness to contemporary history. Therefore, this study aims to clarify the foundations and characteristics that Todorov relied on in his critical approach to the Enlightenment project, based on an analytical and critical methodological approach, focusing on the key ideas and principles on which this project was based. Todorov attempted to correct its ideas and directions, highlighting the most important criticisms and accusations directed at it, and how they were assessed.

Key words: Enlightenment, Criticism, Human, Reason, Freedom,

* بوقفة أحلام، جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله بوزريعة -الجزائر-

مقدمة:

نظرا لأهمية عصر التنوير أصبحت ضرورة التفكير فيه أمرا واقعاً، لأنه يحتاج إلى نقد وتصحيح ومراجعة، بعد أن تعرضت قيمه ومثله إلى التحريف وإلى استخدامات سلبية. مما أدى إلى تشويه سمعته وفقدان مصداقيته. فلا ينبغي التراجع عن مشروع الأنوار، لأنه لا بديل عن التنوير إلا التنوير مُنقحا ومُصححا ومُراجعا، وهذا بالعودة إلى نصوصه الكبرى ومحاولة تحيينها وملاءمتها مع هموم الوضع الراهن وقضاياها.

لهذا سعى تيزفيتان تودوروف لطرح سؤال التنوير من جديد، لأن الأنوار تحتاج إلى إعادة تأسيس لأهم معالمه ومقاصده وأهدافه، تأسيس من شأنه أن يحافظ على إرث الماضي، لكن مع إخضاعه إلى مراجعة نقدية فاحصة. ناظرا من خلالها في مُنطلقاته، محللا لأفكاره، وناقدا لانحرافات. وحتى نبقى أوفياء لهذا الفكر لا سبيل أمامنا إلا بنقده، مُحاولا بهذا النقد وهذه القراءة فهم قضايا الماضي وإعادة بعث الروح فيها، مُنيرا للطريق أمام الحاضر ليرسم لنا خارطة طريق جديدة قادرة أن تفتح أفقا أمام قضايا المستقبل الذي تسعى الكثير من القوى إلى غلقها وبث الظلام فيها.

فالمشروع النقدي الذي انكب عليه تودوروف في مسيرته الفكرية حول فكر الأنوار كان يريد أن يجد فيه اليوم "ركيزة تُساعدنا على مجابهة مشاكلنا المعاصرة"، وليس قبول جميع المقولات التي تمت بلورتها خلال القرن الثامن عشر كما هي، بل محاولة غربلتها بما يتماشى مع قضايا الراهن. إنه يرافع من أجل استئناف الفكر التنويري وإصلاح خطابه والعودة به إلى منابعه الصافية الأولى وتحيين فلسفته وانقاذها من الانحرافات التي تعرضت لها.

هذه الأفكار التي صاغها تودوروف عن مشروع الأنوار، لم يكن يريد من خلالها أن ينخرط في محاولة تأريخ لهذا الفكر، بقدر ما ينظر في الأنوار من زاوية قدرتها الفاعلة في التأثير على حياة المجتمعات. أي أنه يشرح الأنوار على محكّ الواقع الغربي الراهن، وهو بذلك يُقيّم الاتهام الذي جعل من الأنوار مولدة للأنظمة الشمولية وللأيديولوجية الاستعمارية.

ولكي نفهم موقفه الفلسفي ومشروعه النقدي يجب أن نضعه حيز السؤال والنقد لأفكاره ومواقفه، فما هي إذن أهم الأفكار التي قام عليها مشروع الأنوار وكيف كان موقفه منها؟ كيف انتقد تودوروف التوظيف السيء لهذه الأفكار والممارسات السياسية الغربية التي قام عليها التنوير؟ ماهي أهم القيم التي عمل على بلورتها من أجل بناء واقع حضاري وثقافي متقدم؟ كيف يمكن تجاوز التهم والانحرافات التي وجهها تودوروف لفكر التنوير والتي عمل على تصحيحها؟ هل فعلا دافعت حركة الأنوار عن إنسانية الإنسان أم أنها لم تكن سوى مجرد سلاح في يد الأنظمة والسياسات الاستعمارية؟

أولا: الأنوار بوصفه مشروعا

يبقى الفيلسوف الفرنسي-البلغاري تيزفيتان تودوروف من أبرز رموز الفكر الأوروبي المعاصر، من حيث أنه انتهج طريقته النقدية في مساءلة الفكر الغربي، بغية صياغة تصورات ورؤية جديدة ومختلفة، توافق مشروعه النقدي خصوصا مشروع الأنوار، يسهم في فهم الحاضر، ويعمل في الوقت ذاته على

ترميم أعطابه والتنبيه على قصوره وتصحيح انحرافاته، ودفع التهم التي ألصقت به. فكيف بلور تودوروف مفهومه عن الأنوار؟

إن الحسم في حقيقة مشروع الأنوار أمر صعب حسب تيزفيتان تودوروف. ذلك أن تحديد ماهية الأنوار وما يشتمل عليه بالضبط هذا المشروع ليس سهلاً، وهذا راجع إلى اعتبارين أو سببين أساسيين: السبب الأول: أن الأنوار هو محصلة لقرون سابقة جاء تنويعها ولأفكارها، "عصر حوصلة وتأليف، عصر تجديد جذري. فالأفكار الكبرى للأنوار لا تعود إلى القرن الثامن عشر، وهي إن لم تنحدر من العصر القديم تحمل على الأقل آثار أواخر العصر الوسيط الأول وعصر النهضة والعصر الكلاسيكي". (تيزفيتان، 2007، ص 09) فالتنوير لم يحصل فجأة في القارة الأوروبية أو أنه أضاءها بلحظة اشراق واحدة وفي لمحة بصر. "فالواقع أنه كان عملية بطيئة صعبة متعثرة، كان عملية تدريجية ابتدأت أولاً في إنجلترا وهولندا ثم انتقلت إلى فرنسا فألمانيا، فغيرها من دول أوروبا." (صالح، 2005، ص 150) ويقصد بذلك أن التنوير الأوروبي الحديث كان امتداد لأفكار عصر النهضة التي بزغت كإصلاح نقدي للخطاب الديني الكنسي المغلق.

وبالتالي فإن جذوره ضاربة في العصور التي سبقتها، فتنوعت روافده وتعددت مشاربه من الفلسفة، الأدب، العلم، الفن، السياسة والاقتصاد، حيث امتص منها وفصل في الكثير من قضاياها. وعليه يُحيل فكر الأنوار على عصر التأليف والتركيب الأصيل بشكل خالص، ويتشرب هذا العصر الإرث الفكري الذي ظهر في أوروبا منذ نهاية العصر الوسيط، حيث ترسخت مقوماته خلال عصر النهضة والقرن السابع عشر. يستثمر العقلانية والنزعة التجريبية على حدّ سواء، ويُشيد بمعرفة القوانين الخالدة، كما هو الشأن لتاريخ الشعوب، ويؤكد أيضاً على تعدد الثقافات بدلاً من وحدانية الحضارة. (تيزفيتان، 2010، ص 83) وعليه فإن أي مراجعة حالية لعصر الأنوار يجب أن تعود به إلى جذوره اللاهوتية التي يتم عادة إقصاءها وتمهيشها تحت حى الخطاب العلماني المهيمن حالياً.

إن أي تشخيص لأزمة التنوير الحالية يجب أن تعود به إلى جذوره التاريخية المنغرس في فلسفات "أوكام" (Guillaume d Ockhame 1287-1347) والمعلم الصوفي إيكهارت (1260-1328) ومؤسسي النزعة الإنسانية في عصر النهضة أمثال إريزاموس (1467-1536) وErasmus وتوماس مور (1478-1535) وغيرهم. فالقطيعة الفلسفية المزعومة بين التنوير وفكر النهضة لا وجود لها. بل إن الترويج لها يعدّ أحد جوانب هذه الأزمة. (مايكل، 2019، ص 22)

فلا يمكن الحديث عن وجود قطيعة بين عصر التنوير وما سبقه، بل يوجد ترابط وتلاقح بين أفكار العصور، فقد أخذ موارده ومضامينه الفكرية من تلك العصور، غير أنه انطلق وأسس شكلاً جديداً ونمطاً معيناً للتفكير.

إذن هناك تفاؤل وانفتاح كبير طال فكر الأنوار، استشرق من خلاله "العقل والأهواء، الجسد والروح، الفنون والعلوم، الاصطناعي والطبيعي، متشرباً كل مجالات الإبداع الفكري، من الفلسفة إلى العلوم مُدوراً بالآداب والقانون والرسم". (تيزفيتان، 2010، ص 83)

هذا العصر وما يحمله من تحول في سماته أصبح عصر مناظرة أكثر مما كونه عصر اجتماع، إنه عبارة عن حصيلة وتآليف للماضي. هذا ما جعلنا نعترف مع تودوروف بوجود تعددية رهيبية للأفكار، ما أدى بنا أن "نعترف دون حرج بوجود شيء يمكن أن نسميه مشروعاً للأنوار" (تيزفيتان، 2007، ص.10). يمرّ هذا المشروع بإعادة استنهاض نصوصه التأسيسية للقرن السابع عشر والثامن عشر في بوصفها حلولاً لإشكاليات العقل والدين والسياسة، أي هو مشروع لاهوت سياسي جديد.

أمّا السبب الثاني، والذي يعتبر عائقاً أمام التحديد الدقيق لمشروع الأنوار فيتمثل في أن فكر الأنوار حمل عبئه عدد كبير من المفكرين، إنه مشروع جماعي ضخم. وبالتالي وجود ممثلين كثر لعصر التنوير في كل البلدان الأوروبية، والذي من الصعب قصره على بعضهم فقط، فالأنوار قد "احتضنت القدامى والمحدثين، أصحاب التوجهات الكونية وذوي التوجهات المحلية، وهي شغوفة بالتاريخ شغفها بالخلود، وبالتفاصيل شغفها بالتجريد، وبالطبيعة شغفها بالفن، وبالحرية شغفها بالمساواة". (تيزفيتان، 2007، ص.09) وعليه فإن أحد أوجه أزمة التنوير الغربي هو تلك الانتقائية في قراءته بوصفه تأسيس حصراً في بعض المجتمعات الغربية، وعلى يد أسماء قليلة.

إن مكونات هذا الفكر (الأنوار) وتركيبته جديدة، لكنها عملت على التنسيق مع الأفكار التي سبقتها، حيث نجد مكوناته حاضرة على مدى عصور متنوعة في كل حضارات العالم الكبرى. بل تجاوزتها بخروج الأفكار من الجانب النظري المجرد الميتافيزيقي إلى عالم الواقع خلال فترة الأنوار بالذات. وعليه يرى تودوروف أن فكر الأنوار ظاهرة عالمية نظراً للممارسات التي يعتمدها هذا الفكر وبنوع من الوعي في الكثير من القضايا. فالتنوير قد وُجد في كل الثقافات والحضارات والعصور بأشكال مختلفة ومتعددة، لهذا فإن اعتبار النموذج الأوروبي الحديث للتنوير هو النموذج الوحيد، وكأنه معجزة تاريخية، لا يضيف إلا وجه آخر من وجوه أزمته الحالية.

هذه الأسباب يمكن القول إنها صعبت من إمكانية تحديد ماهية التنوير والحسم في حقيقة هذا المشروع، ذلك لأن "ما نعينه بالتنوير ليست عقيدة عقلانية متماسكة، تنتج منها بنحو محكم، مبادئ يقبلها الجميع، بل إنه نقاش واسع، حيث يتجاوز مقترحات متناقضة أو متكاملة موروثاً من الماضي أو صيغت حديثاً، مناقشة تستفيد في كل مكان، من تداول الأفكار المتسارع بين الأفراد وبين الدول على السواء." (تيزفيتان، 2015، ص.29)

ثانياً: موطن الأنوار

روح الأنوار رغم توفر معالمها في كل الحضارات، إلا أنها لم تفرض نفسها إلا في بداية القرن الثامن عشر في أوروبا الغربية. ذلك أن "الوطن الحقيقي لفكر الأنوار هو أوروبا. لقد طاف مونتسكيو عدة دول من القارة الأوروبية، واستقر فولتير في إنجلترا، أما الأسكتلندي هيوم والإيطالي بيكاريا، فقد سكنا في باريس لفترة طويلة. ترجمت كتب هؤلاء المفكرين، ولاقت الكثير من الترحاب والإطراء وأيضاً الانتقاد، رغم أنها لم تُنشر سوى في الخارج، لأن مؤلفيها كانوا مضطهدين في أوطانهم بسبب أفكارهم المزعجة". (تيزفيتان، 2010، ص.84) يبدو أن مفكر التنوير يعطي نموذجاً للمفكر المرحّل خارج حدود الوطنية الضيقة وخارج حدود اللغة الواحدة.

فالأنوار هي أروع إبداع لأوروبا ولم يكن للأنوار أن ترى النور لولا وجود هذا الفضاء الأوروبي الواحد والمتعدد في الآن نفسه.. (تيزفيتان، 2007، ص. 164) كما أن الأنوار هي التي أعطت أوروبا كما نراها اليوم وهذا ما يسمح لنا بالقول دون مبالغة: " لا أنوار بدون أوروبا لكن أيضا لا أوروبا بدون أنوار". (تيزفيتان، 2007، ص. 164) إن سرّ الأنوار وشيئيتها هي هذا التعدد في الفضاء الواحد.

يقرّ تودوروف فيما قال إنه «بالفعل في أوروبا حيث أنجزت التوليفة الكبرى لفكر الأنوار والتي انتشرت بعد ذلك في كل القارات: في أمريكا الشمالية أولا ثم في أوروبا نفسها فأمريكا اللاتينية فآسيا فإفريقيا". (تيزفيتان، 2007، ص. 149)

لكن لماذا ظهرت الأنوار في أوروبا وكيف تمكنت أفكاره من الازدهار في هذا الموطن لا في خارجه؟ يُجيب تودوروف على ذلك بأن هناك سمة مميزة كانت حاضرة في أوروبا وغائبة في خارجها وهي: الاستقلالية السياسية، استقلالية الشعب، واستقلالية الفرد. هذا الفرد المستقل وجد هنا موقعا له ضمن المجتمع نفسه، لا خارجه كما هو الشأن في الهند والمتصوفة في الإسلام والنسك في الصين. (تيزفيتان، 2007، ص. 149) أي أن روح الأنوار تكمن في كفاح الفرد داخل المجتمع ولا يمكن أن تنشأ من روح التزهد والعزلة والنأي بالنفس عن الجماعة البشرية.

كما توجد ظاهرة بارزة لا مناص منها وهي كون أوروبا واحدة ومتعددة في نفس الوقت. تعددية داخلية بين البلدان التي تُكونها ساعد على انتعاش الثقافة داخلها مع الحفاظ على استقلال كل واحدة منها. هذا الفكر الأوروبي بالنسبة لتودوروف، قائم على قبول التعددية ليس باعتبارها إرثا تاريخيا معيقا ومعتلا ينوء المرء بتحملة، بل كمبدأ أساسي للمستقبل وكمؤهلات بناءة. (تيزفيتان، 2010، ص. 26) ساعدت من خلالها القوى الأوروبية على أن تشكل فيما بينها نوعا من النظام، هذا النظام قائم على وحدة العلم وإمكانية تحقيق التقدم في مجال المعرفة. معناه التلاحم والترابط الشديد بين العلم والفكر وبقيّة المجالات الأخرى كالربط بين التجارة والسياسة. غير أنه "لا يجب أن نطمح إلى الوحدة فحسب وإنما يجب تشجيع التعددية لأنها بدورها تحفز على التسامح. (تيزفيتان، 2009، ص. 177) فالتنوير ما كان له أن ينشأ داخل مجتمع شمولي أحادي الفكر والإيديولوجيا مثل الاتحاد السوفياتي أو ألمانيا النازية.

فالأوروبيون لا يكتفون بقبول اختلاف الآخرين بل هم الذين من الغياب يستمدون حضورا، يستمدون حضور الفكر النقدي المتيقظ الذي لا يتراجع أمام أي محرم والذي يقدم على النظر بحياد في كل التقاليد اعتمادا على العقل. (تيزفيتان، 2007، ص. 158) فالعقل وحده هو أفق الكونية الذي يدمج الاختلافات الثقافية والدينية واللغوية في نقاش نقدي موحد ومشروع مجتمع بنزعة إنسانية عالمية.

إن القدرة على دمج الاختلافات دون القضاء عليها هي ما يميز أوروبا عن غيرها من المجموعات السياسية العالمية الكبرى مثل الهند أو الصين أو روسيا أو الولايات المتحدة، حيث الأفراد هم على أقصى درجة من التنوع ولكنهم مجبرون على الانتماء إلى أمة واحدة. (تيزفيتان، 2007، ص. 164)

فأوروبا لا تعترف بحقوق الأفراد فحسب بل كذلك بحقوق الجماعات التي تتمتع كل واحدة منها بتاريخ وثقافة وسياسة مشتركة، أي الدول الأعضاء في الاتحاد. (تيزفيتان، 2007، ص. 164) لهذا يمكن القول أن مشروع الاتحاد الأوروبي هو خلاصة قرون من التنوير وليس خلاصة تشابه ما في الثقافة والدين.

فأوروبا قبل أن تصبح القارة التي تجسد التسامح والاعتراف المتبادل كانت قارة التمزقات المؤلمة والصراعات القاتلة والحروب التي لا تنتهي. هذه التجربة مازالت في ذاكرتها، وهي الضريبة التي كان لابد لها أن تدفعها حتى يتسنى لها بعد ذلك بقرون أن تنعم بالسلم. (تيزفيتان، 2007، ص. 164) ولقد ولد فكر التنوير من رحم هذه التمزقات والحروب الطائفية التي أنهكت القارة طوال القرن السادس عشر والسابع عشر.

يرى تودوروف أن هذه التعددية بالذات كانت عاملاً مساعداً لأوروبا على احتضان الأنوار، وكانت المقارنة مع الصين بالذات. "فالصين ما حدث لها يبدو لها في الأصل أن رصيدا ابداعيا خلافا قد وقع خنقه بحكم وجود امبراطورية واسعة جدا وموحدة، بحيث أدت هيمنة السلطة والتقاليد والافكار السائدة على جمود العقول." (تيزفيتان، 2007، ص. 153) كما أن الفرد في الصين لم يتمتع يوما بوجود مستقل وحرية تفتح أمامه أفق اللولج إلى رؤى جديدة وطرائق خلاقة في الفكر والحياة.

وبهذا نخلص إلى أن درس الأنوار يتمثل في القول بأن التعددية يمكن أن تفضي إلى وحدة جديدة وذلك بثلاث طرق على الأقل: فهي تحث على التسامح ضمن المنافسة، وهي تنمي وتحثي الفكر النقدي الحر، وهي تساعد على التجرد عن اللذات بما يؤدي في مستوى أرقى إلى اندماجها مع الآخر. (تيزفيتان، 2007، ص. 161) وهي القيم التي عمل فكر التنوير على بلورتها والدفاع عنها.

ثالثا: الأفكار التي قام عليها مشروع الأنوار

لقد قام مشروع الأنوار على ثلاثة أفكار أساسية وهي: الاستقلالية والغائية الإنسانية لأفعالنا والكونية، وهي المبادئ التي سيعمل تودوروف على تحليلها.

1. مبدأ الاستقلالية:

إن عصر الأنوار الذي يلخص وينظم فكر القرون التي سبقتة، يحتل مركزا ذا أهمية كبرى، وإحدى مساهماته هي فكرة الاستقلالية، استقلال الفرد ضد السلطة والدين، حيث "يقدر كل انسان أن يعرف هو بذاته العالم ويقرر مصيره بنفسه." (تيزفيتان، 2009، ص. 173) أي "امكانية التحرر من الوصايا التي تفرض على كل فرد طريقة أحادية للتفكير والاحساس." (تيزفيتان، 2010، ص. 93)، مما يجعلنا نفضل ما نختاره بإرادتنا على ما تفرضه علينا كل سلطة خارجية.

شمل هذا البحث عن الاستقلالية مناحي الوجود كافة، نأخذ منها بعض الأمثلة، حيث نجد في المقام الأول:

أ. المعرفة:

لقد كانت استقلالية المعرفة في المقدمة، حيث تنطلق استقلالية المعرفة من مبدأ مفاده أنه ليست لأية سلطة مهما كانت راسخة ومحترمة أن تبقى في مأمن من النقد، وأنه ليست للمعرفة سوى مصدرين هما العقل والتجربة وكلاهما في متناول كل إنسان. وبهذا أصبح مبدأ "التصالج بين الوضعي والعقلاني ليس مجرد مطلب، بل إنه القادر على الوصول إلى الهدف المحدد الكامن فيه، وتحديد المثال بالصرامة التي استمدتها التنوير من المسار الفعلي للعلم منذ إعادة تجديده." (كاسيرر، 2018، ص. 45).

وهو ما يتجلى في الشعر الذي أقرّه إيمانويل كانط للتنوير "أجرؤ على استعمال عقلك". هذا الشعر الذي حمل معه كيفية خروج الإنسان من القصور الذي هو مسؤول عنه، والتحرر من حالة العجز إلى تقديس مبدأ الحرية، (كانط، 2005، ص85) واعتبار مبدأ احترام النقد والاستقلال واحداً من بين المبادئ الأساسية للإنسان. هذا الشعر كان خلاصة لعدة قرون من الكفاح والصراع المستميت التي خاضتها أجيال كثيرة ضد هيمنة الرؤية الكنسية الواحدة.

كفاح تحررت خلاله المعرفة من كل رقابة إيديولوجية، ولكي تحقق نجاحات باهرة، كان ينبغي علمها الاهتمام أيضاً بالقانون والتربية والفنون. ولكي يكون ميدان المعرفة مستقلاً عليه أن يكون بحثاً عقلياً واعياً، وأن يبتعد عن "الانصياع إلى التقاليد أو التنبؤات أو أخبار النجوم". (تيزفيتان، 2007، ص147) وهو فحوى الأفكار التي أتى بها كل من اسبينوزا ومونتيسكيو وروسو وهيوم وغيرهم.

"لقد فتح تحرر المعرفة الباب على مصراعيه أمام ازدهار العلم حتى صار جميع الناس يتمنون التحصن بشخصية بارزة في المعرفة، واقصد هنا عالماً لا فيلسوفاً. حيث نهض نيوتن خلال قرن الأنوار بدور شبيه بذلك الدور الذي سينهض به داروين خلال القرون اللاحقة. فتقدمت الفيزياء ثم تبعها في المسار الكيمياء والبيولوجيا وحتى علم الاجتماع وعلم النفس. (تيزفيتان، 2007، ص13) معناه أن التنوير قام على رؤية كوسموجينية (نشأة الكون) صلبة تأسست في الفيزياء وعلوم المادة ثم امتدّ نموذجها داخل الظواهر المفرّعة من المادة نفسها. فالفيزياء منذ غاليلي وكوبرنيك كانت تسعى إلى تحقيق استقلال المعرفة عن اللاهوت الذي يقتضي وجود الإيمان مسبقاً لعمل العقل.

وبهذا الاستقلال تسعى المعرفة إلى التحرر من كل الوصايا حتى تتقدم، وستكون من أولوياتها "التربية في جميع وجوها بدءاً من المدرسة وصولاً إلى الأكاديميات العالمية". (تيزفيتان، 2007، ص14) من خلال التشجيع على النشر والانتاج في مجلات أو دوريات أو موسوعات موجهة للجمهور وتحريراً للصحافة، لنشر قيم الأنوار والتشجيع على التحلي بثقافتها، وترسيخ لمبادئها المتضمنة في الحرية والاستقلالية. فصارت المطالبة بحرية الرأي وحرية التعبير وحرية النشر وحرية المعتقد مبدأً عام.

ساعدت هذه الاستقلالية المدرسة على التخلص من سلطة الكنيسة، باعتبارها الفضاء المفتوح لنشر قيم الأنوار أمام الجميع. وكذا تحرر الصحافة الدورية حيث يمكن أن تُجرى المناقشات المتعلقة بالشأن العام، وكذا الاقتصاد الذي وجب عليه أن يتحرر من الموانع الاعتبارية ويسمح بحرية انتقال السلع مثلما صار لزاماً عليه الاعتماد على قيمة العمل والمجهود الفردي بدل البقاء مُثَقلاً بامتيازات الماضي. (تيزفيتان، 2007، ص17)

بسبب هذه التعددية الاستقلالية، من الواجب أن تكون السلطات في يد الدولة وتراقب بعضها البعض حتى لا تصبح سلطات مطلقة، تُقيد الحرية الفردية السيادة الشعبية، والعكس صحيح. كما ساهم هذا المبدأ من جهة أخرى في استقلال الفرد ضد السلطة والدين، وكما عليه تحقيق سيادة الشعب في صياغة القوانين التي تُسيّر حياته، وفي اختيار الأشخاص الذين يقودون شؤون البلد، وهذا فحوى نظرية العقد الاجتماعي التي نشأت مع سبينوزا وجون لوك ونضجت مع روسو وهيأت الفكر النظري للثورة الفرنسية (1789).

ب. الأدب:

لقد نظر تودوروف إلى الأدب باعتباره فنا يعبر عن الإنسان في صورته التي شكلتها عقلانية التنوير وقيمها العليا. هذا الإنسان يجب القبول به باعتباره "مصدرا للقانون الذي يتخذه لنفسه والذي يقتضي من خلاله قبول الانسان كليا كما هو لا كما ينبغي أن يكون". (تيزفيتان، 2007، ص.14) أي أن التنوير يتأسس على انثروبولوجيا فلسفية كان إيمانويل كانط قد وضع نظريتها في كتابه "الانثروبولوجيا من وجهة نظر براغماتية". (kant. 2002. P.33)

وبالتالي أصبح من الضروري إعادة النظر إلى البشر على أنهم مختلفون عن بعضهم عوض الاكتفاء بصورة مجردة ومثالية عنهم، حتى ندرك أنهم مختلفون عن بعضهم البعض اختلافا لا حد له. (تيزفيتان، 2007، ص.14) هذا الاختلاف ستوفق الأجناس الأدبية الجديدة في التعبير عنه، وهي أجناس تضع الفرد في قلب اهتماماتها وأقصده بالتحديد الرواية من جهة، والترجمة الذاتية من جهة أخرى. وهي أجناس تجاوزت الطابع المثالي المجرد للسلوكات البشرية بل صارت ترسم الناس كل في فرادته منغمسين في شؤونهم الخاصة. (تيزفيتان، 2007، ص.15) فابتعد الرسم عن الهالة الدينية والاسطورية والمثالية، لينغمس في تجسيد الصورة الحقيقية للواقع اليومي للإنسان.

ت. الفن:

يمكن القول أن الفن كان بذرة الفكر التنويري في أوروبا، فقد لجأ فنانون عصر النهضة، خاصة في إيطاليا إلى استعادة الفكر اليوناني فناً لمقارعة سلطة الكنيسة. تعمّد فنانون مثل ليوناردو دافنشي، ومايكل أنجلو، ورفائيلي إعادة صياغة السردية المسيحية من داخل الكنائس والكاتيدرائيات التي كانت تطلب خدماتهم الفنية، وذلك بترك تشفيرات فنية، (في التصوير والنحت) تحرّض المتلقي على مراجعة السرديات الرسمية للكنيسة الكاثوليكية. سرديات تتعلق بميلاد المسيح وحياته وصلبه، وعلاقة كل ذلك بالكنيسة الرومانية ووراثتها للوثنية الرومانية، وإدماجها في العقيدة المسيحية الأورثوذكسية. تجلّى ذلك في لوحات وجداريات مثل "العشاء الأخير" وتمثال موسى، وتمثال دواود وغيره من الأعمال الفنية. كل ذلك يصب في روح التنوير التي من أساسها تقوم على مراجعة السردية المسيحية المهيمنة لصالح الفكر النقدي. وبهذا " اتسعت استقلالية الفرد فشملت نظريته إلى المحيط من حوله كما شملت نظريته إلى أعماله الفنية، وهو ما أدى إلى اكتشاف الوسط الطبيعي على حقيقته." (تيزفيتان، 2007، ص.15).

وبالتالي فتح مساحة جديدة لممارسة الفنانين لنشاطهم، لترسيخ وتجسيد أمثل ومثمن لأعمالهم الابداعية. "فالفنان والمبدع هو ذاك الذي يبت في شأن صناعته بنفسه ويجعلها متعة خالصة للبشر" (تيزفيتان، 2007، ص.16)

ث. السياسة:

كغيره من النتائج التي أفضى إليها مبدأ الاستقلالية خلال قرن الأنوار، هو ظهور نوع من الأعمال السياسية، التي تسعى إلى "تغيير المجتمعات السياسية تغييراً أعمق فتواصلت واكتملت بذلك عملية الفصل بين الزمني والروحي" (تيزفيتان، 2007، ص. 16)

هذا الفصل تمّ وفق مبدأين: أولهما يتعلق بالسيادة وهو مبدأ قديم في حقيقة الأمر إلا أنه أعطي مضمونا جديدا بحيث صار الشعب مصدر كل سلطة، ولم يعد ثمة شيء أعلى من الإرادة العامة. (تيزفيتان، 2007، ص. 16-17) وهو ما يعني أن روح الأنوار تصبّ في مجرى نزع الشرعية عن مبدأ التفويض الإلهي الذي كان يشرعن الملكيات الإقطاعية، وإعادة الشرعية لمفهوم جديد هو "الشعب" وهو مفهوم روماني اشتغل فكر الأنوار على استعادته وتحيينه، وكانت الثورة (الفرنسية) أداته في تحقيق ذلك الانقلاب السياسي الكبير. وثانيهما: مبدأ حرية الفرد إزاء سلطة الدولة، شرعية كانت أو غير ذلك، ولتأمين هذه الحرية كان لا بد من السهر على التعددية وعلى التوازن بين مختلف السلطات. وهكذا يتم في كل الحالات الفصل بين اللاهوتي وبين السياسي، وبذلك يصبح السياسي منتظما وفق مقاييسه الخاصة. (تيزفيتان، 2007، ص. 17) فالسياسي متغيّر حسب الظروف والطوارئ وبالتالي يكون خاضعا للنقاش العام والسلطة البرلمانية، بينما الديني واللاهوتي بقي متكلسا ومحكوما بالنصوص والتأويل والمجامع الكنسية، والتي وجب حصرها داخل أسوار الكنيسة والنقاش اللاهوتي، بعيدا عن الفضاء العمومي.

صارت كل قطاعات المجتمع تميل إلى العلمنة، في حين حافظ كل الأفراد على إيمانهم، ولم يكن هذا البرنامج ليشمل السياسة فحسب، بل شمل العدالة كذلك إذ غدت الجريمة بصفها خطأ في حق المجتمع وحدها تستوجب القمع، وصار لزاما تمييزها من الإثم بصفته خطيئة أخلاقية من منظور التقاليد. (تيزفيتان، 2007، ص. 17)

بهذا يرى تودوروف أن هيمنة الخطاب العلماني على مشروع التنوير أدّى مباشرة إلى بروز إيديولوجيات بديلة عن إيديولوجية الدين، وهي "النزعة العل موية le scientisme"، وهي النزعة التي ظهرت إثر الفلسفة الوضعية لأوغيست كونت، تشارلز داروين وكارل ماركس. انبثقت عن هذه النزعة أنظمة سياسية وأيديولوجيات شمولية، مثل النازية والشيوعية، والفاشية، لا تختلف عن سلفتها الكنسية إلا في المضمون، والشكل واحد، وهو تقديس حقيقة مطلقة ما، ومن هنا بدأ الانحراف الخطير لمشروع التنوير الذي انزلق نحو نفس العنف والشمولية الذي كانت الكنيسة تمارسه لمدة تزيد عن عشرين قرونا.

2. غائية الأفعال الانسانية

من خلال هذا البرنامج –الاستقلالية- تحررت الإرادة الفردية باعتبارها إرادة الجماعات من الوصايات القديمة، لكن يتساءل هنا تودوروف هل أصبحت حرة تماما؟ يجيب بكلا، لأن روح الأنوار لا يمكن اختزالها في مطلب الاستقلالية وحده، فالأنوار جاءت ومعها أدواتها النقدية التي تساعد على التعديل –تعديل مسارها هي بالذات- وأول هذه الأمور يتعلق بغائية الأفعال

الإنسانية بعد أن أصبحت مُتحررة، إذن جاء دور هذه الغائية لتنزل إلى الأرض ولم يُعد مقصدها الله بل الإنسان. (تيزفيتان، 2007، ص.ص 17-18)

وعلى هذا الأساس يعتبر فكر الأنوار مذهباً إنسياً أو إن شئنا مذهباً يقوم على مركزية الإنسان. فلا حاجة الآن إلى أن يبقى الإنسان على استعداد للتضحية بمحبة المخلوقات حبا للخالق. فقد "أصبح على الإنسان أن يُضفي معنى لوجوده على الأرض في الحياة الدنيا، لأن البحث عن السعادة حل محل السعي إلى الخلاص." (تيزفيتان، 2007، ص. 18) حيث يكون الهدف الأقصى للحياة البشرية هو الاستمتاع بالحياة نفسها وليس لها هدف خارجها أو بعدها، وحيث يكون الجسد هو مركز الوجود، "وقصارى المسألة هو أن ينزل الفعل من علياء السماء إلى الأرض ويجسد في البشرية لا في الله. (تيزفيتان، 2007، ص. 120) فالجسد هو المحور الأساسي لمفاهيم وممارسات الصحة والرياضة، والجماليات، والأخلاق، ومؤسسات الدولة.

وبالتي، فحتى الدولة لم تعد تضع نفسها في خدمة المشيئة الإلهية، وغدا هدفها العمل على تحقيق رفاه الشعب "فأصبح من حقهم الاعتناء بحياتهم الخاصة، وخوض التجارب العاطفية الكبرى والفوز بما لذ وطاب من النعم، وتنمية سائر أنواع التعاطف والحب والصدقة." (تيزفيتان، 2007، ص. 19) وسيكون على كل المؤسسات السياسية أن تتوجه إلى هذه الغاية، أي توفير الغذاء والصحة والتعليم والمرافق الرياضية، واحتضان المنافسات الاقتصادية والرياضية والفنية الكبرى للاحتفاء بكل أبعاد الجسد الإنساني.

إذن أصبح الإنسان يمثل مركز الموسوعة لأنه مركز العالم أو بالأحرى لأنه هو الذي يجعل للعالم معنى، وعلى هذا الأساس لم يعد وجود الإنسان مجرد وسيلة لخدمة هدف أسى هو خلاص الروح أو قيام مدينة الرب، بل صار ينبغي البحث عن غاية وجوده بالذات. (تيزفيتان، 2007، ص. 113)

3. الكونية

ولأن التنوير حركة فكرية تتعامل مع الميراث الفكري بحرية أكثر، حيث انتقت منه ملامح أساسية محددة تُلائم طريقها في التفكير، لهذا نجح التنوير في هذا الانتقاء، والوصول إلى المصادر الحقيقة للمشكلات. فنظر إلى مسألة الحقوق، وأعاد طرح علاقة الحق بالسلطة من جديد. لهذا فقد عمل فلاسفة التنوير على محاولة تشييد "حضارة ترتكز على فكرة الحقوق: حقوق الوعي الفردي، وحقوق النقد، وحقوق العقل، وحقوق الإنسان والمواطن". (هازار، 2009، ص. 10). باعتبارها حقوق كونية لا يمكن التخلي عنها.

لهذا كانت الأداة الثانية التي جاءت بها الأنوار للحدّ من حرية الأفراد والجماعات، فتتمثل في الإقرار بأن جميع الكائنات البشرية بحكم طبيعتها البشرية بالذات، تملك حقوقاً لا يمكن التصرف فيها إطلاقاً. فالمواطنون إلى جانب ما يتمتعون به من حقوق في نطاق مجتمعاتهم يمتلكون حقوقاً أخرى يشترك فيها جميع الناس ويتمتع بها كل إنسان، حقوق غير مكتوبة لكنها مع ذلك ليست أقل إلزاماً. (تيزفيتان، 2007، ص. 19) فقد تحول مبدأ "الكرامة الفطرية" الذي صاغته الأخلاق الكانطية بوصفه مبدأً قبلانياً إلى هالة من القداسة يجب على التنوير أن يحيط بها الإنسان بوصفه إنساناً فقط. أي أنها قداسة تقع خارج كل الانتماءات الثقافية والدينية والقومية، وتنسحب على كل كائن إنساني بشكل متساوٍ، ولهذا يمكن القول أن التنوير كمشروع يهدف أساساً إلى بناء أخلاق كونية.

وعليه صار الأساس الذي يكون عليه "مطلب الكونية بمثابة الحد الأدنى الذي تقف عنده ممارسة الحرية، ويكون المقدس الذي غادر مجال العقائد ورفات القديسين مجسدا مستقبلا في حقوق الإنسان." (تيزفيتان، 2007، ص.20)

وهنا يشدد تودوروف أنه مادامت للكائنات البشرية مجموعة من الحقوق المتماثلة فإنها متساوية في الحقوق، ومعنى هذا أن مطلب المساواة نابع من الكونية، وليس العكس.

ومن الكونية انبثقت ضروب من الكفاح المتواصل إلى اليوم: الكفاح من أجل أن تكون النساء مُساويات للرجال أمام القانون، وأن يلغى الرق وألا يشرع أبدا للتصرف في حرية أي كائن بشري، وأن يُعترف بكرامة الفقراء والمساكين والمهمشين، وأن يُنظر إلى الأطفال باعتبارهم أشخاصا بآتم معنى الكلمة. (تيزفيتان، 2007، ص.20) وعليه يكون التنوير مشروعا منفتحا على المستقبل، وغير مكتمل طالما لا يزال العالم المعاصر يزرع تحت كل أشكال التهميش والاستعمار والعبوديات المُقنعة.

فالتنوير كمشروع هو يوتوبيا تشتغل في التاريخ. وسيكون أمامه الكثير من الملفات التي سيفتحها تباعا، مثل إنهاء الاستعمار، حقوق النساء، والمهاجرين والمثليين، وعقوبات النفي والإعدام، وممارسات التعذيب وكل ما يمسّ بحرمة السد البشري.

معناه أن يُصبح لكلّ إنسان الحق في الحياة، وبمقتضى ذلك تصبح عقوبة الإعدام غير شرعية حتى لو كان الأمر يتعلق بمجرم تعمد القتل لأننا اعتبرنا القتل الخاص جريمة، فكيف لا يكون القتل العام جريمة أيضا. (تيزفيتان، 2007، ص.19)

كما يُصبح أيضا لكلّ إنسان الحق في كامل حرمة الجسدية، وبمقتضى ذلك يصبح التعذيب غير شرعي حتى ولو مُؤرس باسم المصلحة العليا للدولة. (تيزفيتان، 2007، ص.ص.19-20)

إن الانتماء إلى الجنس البشري أي إلى الإنسانية بما هي صفة كونية هو أكثر أصالة من الانتماء إلى هذا المجتمع أو ذاك. (تيزفيتان، 2007، ص.20) فالإقرار بكونية الإنسان أدى إلى الرغبة في التعرف على مجتمعات وثقافات أخرى فتعددت الصور التي يمكن أن تكون عليها الحضارة.

أما إذا تجاوز الأمر حدود البلد الواحد فإن الكونية تكتسي معنى آخر. فكما أن سكان بلد ما ينبغي أن يرقوا جميعا إلى مستوى المواطنة، ينبغي كذلك اعتبار جميع سكان المعمورة من الوهلة الأولى كائنات بشرية بآتم معنى الكلمة، لأن ما يجمع بين بني الإنسان هو أكثر تأصلا مما يفرق بينهم. (تيزفيتان، 2007، ص.130)

إن الكونية ليست مسؤولة عن الصورة التي يمكن أن نشكلها لأنفسنا فحسب، بل تفتح إمكانا لمشروعية جديدة في هذا العالم، الذي لم يعد فيه للخير والشر أن يبقيا قائمين على كلمة الرب، ولا قائمين على الدروس المستقاة من التقاليد. (تيزفيتان، 2007، ص.131) بل أن التنوير هنا يؤسس لأخلاقية كونية جديدة، أخلاقية تقوم على ما هو إنساني أو لا إنساني، قد يكون الألم الجسدي أو النفسي معيارا لهذه الأخلاقية ولكنها ستمتد إلى مفهوم أوسع للكرامة تُبنى على حرمة الجسد وقداسته.

إن مبدأ الاحترام مبدأ وجودي ومفروض، إنه من بين القيم المشتركة في الإنسانية، مبدأ كوني وعالمي لا يجوز التعدي عليه بمبدأ القوة. واعتبار جميع الممارسات متساوية القيمة بالتخفي وراء حجة التسامح يعني

رفض وحدة النوع البشري. ويعني في نهاية الأمر الحكم على الآخرين كونهم قاصرين عن التمتع بنفس المعاملة التي نحظى بها نحن. فالمساواة في الحقوق مسألة غير قابلة للتفاوض أصلاً. (تيزفيتان، 2007، ص. 143)

رابعاً: الأنوار بين التحقق والتحريف

إذا أردنا أن نُقيم مشروع الأنوار، علينا أن نُعلن مع تودوروف أن فكر الأنوار استطاع أن يحقق إنجازات كبيرة، من حيث أنه استطاع أن يحقق نصراً لا شك فيه على منتقديه وخصومه الذين كان في صراع ضدهم داخل أوروبا والمناطق التي كانت تحت تأثيرها. لهذا نجده يقول: "لقد انهبرت بفكر عصر الأنوار، لأنه يمثل اللحظة التاريخية التي تأسست خلالها المبادئ الكبرى التي نعيش في كنفها اليوم، المثل العليا للجمهورية، والمكانة المخصصة للعقل والعلم والعقل الكوني. (تيزفيتان، 2010، ص. 159)

من بين هذه الانتصارات نجد أنه "أمكن للمعرفة أن تتقدم بحرية دون موانع إيديولوجية." (تيزفيتان، 2007، ص. 21-22) مما ساعد على انتشار المعارف واعتماد التقنيات الحديثة، إلى التآلف مع الأعمال الفنية الكبرى والمكتسبات الحديثة.

فما كان مستحيلاً التفكير فيه أصبح ممكناً، وما كان عصياً على النقد أصبح الآن خاضعاً له. هنا تكمن لحظة التنوير الأساسية، تلك اللحظة التي بدونها لا يمكن أن ينشأ أي تنوير. لأول مرة أصبحت العقائد الدينية المسيحية، أي قدس الأقداس عرضة للدراسة العقلانية النقدية، وهذه اللحظة التنويرية هي التي شكلت فيما بعد أكبر حضارة شهدها التاريخ البشري، إنها الحضارة الأوروبية الحديثة. (صالح، 2005، ص. 152).

من جهة أخرى نجد أنه بإمكاننا أن نعود إلى "فكر الأنوار لإدانة التعذيب، حين يُمارس باسم دواعي المصلحة العليا للدولة، فضلاً عن هذا، بإمكاننا التسلح بفكر الأنوار لنشجب الحروب الحالية وندنيها، تلك التي تزعم نشر الحرية والديمقراطية والتنوير بالقوة في الأقطار التي تفتقر إليها. (تيزفيتان، 2010، ص. 86-87) وبالتالي فقد عمل هذا الفكر على وقف سيل الدماء في أوروبا التي كانت تباح بسبب الحروب الدينية أو الأهواء السياسية، أي أن التنوير نزع مشروعية الحرب فلم يعد يمجدها مما يمهّد لانطفائها.

أيضاً يجب علينا احترام تعدد الثقافات وضمّنها إلى القيم الكونية، والعمل على اعتبار النجاح الاقتصادي وسيلة وليس غاية، والقيام بتعزيز التعددية السياسية داخل كل بلد، كما بين جميع البلدان. (تيزفيتان، 2010، ص. 86-87)

أصبح الأفراد يتمتعون بقدر كبير من حرية التعبير والديمقراطية التي تمارس سيادة الشعب، في نطاق احترام الحريات الفردية، التي أضحت نموذجاً مفضلاً ومرغوباً فيه. أما الحقوق العالمية للإنسان فقد غدت تعتبر بمثابة مثل أعلى للجميع، كما أضحت المساواة أمام القانون قاعدة في كل دولة قائمة على الشرعية. (تيزفيتان، 2007، ص. 22) وأضحى التسامح أيضاً مبدأً ينبغي أن يحل محل التعصب لكي يسود السلام المدني في المجتمع، لأن التعصب هو أساس الشرور والبلاء والحروب الأهلية والمجازر.

أصبح الناس يسعون إذن إلى استنباط قوانين وقيم جديدة معتمدين في ذلك على وسائل بشرية صرف، بعد رفضهم العيش تحت وطأة التقاليد القديمة، حيث لا مكان عندهم للسحر ولا للوحي وعوض الإيمان

بالنور النازل من علياء السماء صاروا يهتدون بأنوار كثيرة أخرى تشع من شخص لآخر. (تيزفيتان، 2007، ص13)

الهدف من هذا التجديد في فكر الانوار هو ضمان استقلالية الفرد وجعله قادرا على النظر في الأمور بطريقة نقدية، وعلى اختيار قواعده أو مبادئه السلوكية بنفسه. أما الوسيلة فتتمثل في تمكينه من كفاءات التفكير الأساسية ومن معرفة العالم. وفي هذا يكمن الانتقال من مرحلة الطفولة إلى سن الرشد. (تيزفيتان، 2007، ص85) ثم إن هذا لا يعني أن كل الأهداف المأمولة قد تحققت فوعد الماضي لم تنجز برمتها. فمن بين الاتهامات الموجهة الى مشروع الأنوار "كونه مصدر جميع الشرور القديمة والمعاصرة كالاستعمار والإبادة العرقية وهيمنة الأنانية". (تيزفيتان، 2007، ص165)

"فالقرن العشرون بصفة خاصة الذي شهد مجازر حربين عالميتين وقيام أنظمة شمولية في أوروبا وخارجها. بالإضافة إلى ما أدت إليه الاختراعات التقنية من دمار وتقتيل. هذا القرن بدا كأنه يسفّه نهائيا جميع الآمال المعبر عنها في الماضي مما دفع الكثيرين إلى الكف عن الانتساب إلى الأنوار، وصارت الأفكار التي تتضمنها كلمات من قبيل "انسية" "تحرر" "تقدم" "عمل" "ارادة حرة" فاقدة لكل اعتبار. (تيزفيتان، 2007، ص22-23) "حيث ظهرت معادلة مزدوجة مفادها أن الأنوار يساوي ثورة وثورة يساوي إرهاب، وأدت هذه المعادلة إلى إدانة الأنوار إدانة لا رجعة فيها". (تيزفيتان، 2007، ص31)

لا ينبغي الحقد على الحضارة التي أنتجها التنوير ومحاولة تحطيمها، بحجة أنها رأسمالية استعمارية توسعية، فلرب أن هذه الحضارة بحاجة إلى نقد عنيف وجارح. لكن لا ينبغي التخلي عنها أو عن أفضل مكتسباتها، لأن ذلك يعني العودة إلى العصور الوسطى وهذا أمر مستحيل.

ومن بين هذه الانتقادات التي وجهها تودوروف للأنوار، "كونها وفرت المستندات الأيديولوجية للاستعمار الأوروبي خلال القرن 19 والنصف الأول من القرن 20 ويقوم هذا الانتقاد على المنطق التالي: بما أن الأنوار تقرب بوحدانية الجنس البشري فهي تقر إذن بكونية القيم. ولما كانت الدول الأوروبية مقتنعة بأنها تحمل قيما أرقى من القيم السائدة عند غيرها من الأمم، اعتقدت أن من حقها حمل حضارتها على الذين هم أقل حظا منها. وكي تضمن نجاحها في أداء مهمتها كانت مجبرة على احتلال المناطق التي يقطنها سكان تلك الأمم. (تيزفيتان، 2007، ص34)

وبالتالي فكر الأنوار مهد الطريق أمام الحملات الاستعمارية الأوروبية وهذا ما فعله المستعمرون الإسبان والبرتغال خلال القرن 16. حيث يتصرفون وفق هذا المنطق عندما يتعللون بالحاجة إلى نشر الدين المسيحي لتبرير حملاتهم الاستعمارية. هكذا كانت تتخفى السياسة الاستعمارية وراء المثل العليا للأنوار لكنها في الواقع كانت تمارس باسم المصلحة القومية ليس أكثر (تيزفيتان، 2007، ص36-37) إنه تحويل لوجهة الأنوار نحو السياسة الاستعمارية باسم المصلحة القومية.

والحقيقة أن الحركات المناهضة للاستعمار هي من هذه الناحية أكثر استلهاما لمبادئ الأنوار بشكل مباشر خاصة تتبنى مقولات الكونية الإنسانية والمساواة بين الشعوب وحرية الأفراد. فالاستعمار الأوروبي خلال

القرن 19 والقرن 20 كانت له خاصية مدهشة ومدمرة للذات بالقوة إذ جلب في أثره أفكار الأنوار التي ستلهم أعداءه لاحقا. (تيزفيتان، 2007، ص38)

هناك لوم آخر ذو خطورة استثنائية يوجه إلى روح الأنوار يتمثل في كونها قد أنتجت الأنظمة الشمولية خلال القرن 20 بما صحبها من مواكب إبادة جماعية ومساجين وعذابات أنزلت على ملايين الأشخاص. هذا اللوم حمل فكرة مفادها أن الناس بعد رفضهم العمل بالتعليمات الالهية يختارون بأنفسهم مقاييس الخير والشر وصاروا منتشين بقدرتهم على سبر أغوار العالم مما جعلهم يسعون إلى إعادة تشكيله حتى يكون مطابقا للمثال الأعلى عندهم. وعلى هذا النحو صاروا لا يترددون في إبادة مجموعات هامة من سكان الكرة الأرضية أو في تحويلهم إلى عبيد. (تيزفيتان، 2007، ص38)

من البين أن قيم التنوير قد أصابها ما يصيب كل قيمة تخضع للتحقق. لقد ابتعد العقل عن مداه ووقع فيما يعرف ب «الهدم الذاتي للعقل» كما وضحه الفيلسوفين هوركايمر وأدورنو في كتابهما "جدل التنوير"، "إذ لم يعد سرا أن مفهوم العقل قد تضمن عقلا أداتيا ونفعيا واقصائيا، ولم يعد العلم مصدر ثقة وتفاؤل مع أنه أساس الحضارة المعاصرة، وذلك لأن تطبيقاته أصبحت تثير الشك والقلق، وأن الحرية لم تمنع الاستعمار وبناء السجون، وأن التقدم بقدر ما هو واقع تاريخي ملموس بقدر ما هو ايدان بخطر يهدد مصير البشرية وخاصة في شكله الكمي والاستهلاكي." (باغورة، 2009، ص 99)

لقد حرف المستعمرون مبادئ الأنوار عن مسارها، وتم استخدامها كأداة لعملية الهيمنة ولكن الطريق الصحيح حسب تودوروف لا يكون برفض مبادئ الانوار وانما بالعودة إلى الجذور الصحيحة التي تأسست عليها هذه المبادئ. وعليه يدعو تودوروف إلى إقامة وتأسيس لفلسفة إنسية تكون أكثر استيعابا وانفتاحا من الانسية الأوروبية السابقة. وهذه الانسية القادرة على انقاذ جوهر الفكر الأوروبي المتولد من عصر الأنوار وانقاذ الفكرة الأساسية فيه: شمولية القيم وخصوصية الانسان.

الخاتمة:

انطلاقا من هذا التحليل نخلص مع تودوروف إلى النتائج التالية:
عصر التنوير هو الذي نفخ الروح في الحضارة الأوروبية، وقدم لها الأمل بالإصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وكذلك الأمل بتحقيق السعادة على وجه الأرض من خلال نشر المعرفة، والتكنولوجيا والطاقة الحيوية، والأمل أيضا بتحقيق علاقة أفضل بين الإنسان والعالم.

التنوير ثورة عقلانية وحركة فكرية رفضت الانغلاق والتحجر، وفتحت الباب أمام أفق عديدة، وجعلتها أكثر خصوبة وانتاجا.

أصبحت المركزية الإنسانية سمة عصر التنوير، وأصبحت الحرية والاستقلالية والقيم الكونية، أهم الفعاليات المميزة له. والتي يمكن أن يقوم عليها المجتمع الحديث.

ضرورة الدراسة النقدية الشاملة للمبادئ والأفكار التي بني عليها التنوير، عن طريق ابراز اشكالاته الفلسفية ومراجعة أحكامه، قصد إنقاذه وتحديد مكانته في تاريخ الفكر المعاصر.

التنوير ضرورة حضارية غيرت مجرى التاريخ المعاصر، من خلال تشجيعه على نشر قيم التسامح الديني، وحقوق الانسان، والديمقراطية، والمساواة أمام القانون. التنوير كان ويظل إلى حد بعيد العامل الأكثر ايجابية في تشكيل الواقع المعاصر ومسارات الحداثة. حمل عصر التنوير إحساس عميق بالخلق والإبداع والحماسة من أجل بناء عالم جديد. كما كان مفعما بالثقة المطلقة والتوجه نحو مستقبل مشرق بعد قرون طويلة من الظلام.

قائمة المصادر والمراجع:

- أرنست كاسير (2018)، فلسفة التنوير، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت.
- الزواوي باغورة (2009)، ما بعد الحداثة والتنوير (موقف الأنطولوجيا التاريخية)، دار الطليعة، بيروت.
- إيمانويل كانط (2005)، ثلاثة نصوص: تأملات في التربية، ما هي الأنوار؟ ما التوجه في التفكير؟ دار محمد علي للنشر، تونس.
- بول هازار (2009)، أزمة الوعي الأوروبي (1680-1715)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
- تيزفيتان تودوروف (2007)، روح الأنوار، دار محمد علي للنشر، تونس.
- تيزفيتان تودوروف (2010)، تأملات في الحضارة والديمقراطية والغيرية (نحو رؤية جديدة لحوار الحضارات) منشورات المتوسط،
- تيزفيتان تودوروف (2015)، أعداء الديمقراطية الحميمون، دار الربيع، بيروت.
- تيزفيتان تودوروف (2009)، الخوف من البرابرة (ما وراء صدام الحضارات)، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، كلمة.
- تيزفيتان تودوروف (2016)، نحن والآخر، دار المدى للطباعة والنشر والتوزيع.
- مايكل إلين جيلسي (2019)، الجذور اللاهوتية للحداثة، جداول، بيروت.
- هاشم صالح (2005)، مدخل إلى التنوير الأوروبي، دار الطليعة للطباعة والنشر ورابطة العقلانيين، بيروت.
- E. Kant (2002), Anthropologie du point de vue pragmatique, tr : Michel Foucault, virn.